مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٤٠)

فصول
في التوحيد

تأليف
عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الفَرد الصَمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أحمده تعالى وأشكره على نِعَمِه العظمى التي لا تُحصى ولا تُعدُّ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد، وَعَدَ المخلصين الدرجات العُلى وأوعد المرائين ناراً تلظَّى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل مَنْ وحّد الله وتعبّد، الذي أشاد منار الإسلام وأَحْكَمَ أساسه، صلَّى الله وبارَك عليه وعلى آله وأصحابه الذين أخلصوا توحيدهم لله وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، وعلى التابعين لهم المقتدين بهم في إخلاص العمل والتوحيد، ومَنْ سار على نهجهم في تحقيق كلمة التوحيد، وسلّم تسليماً كثيراً أما بعد:

اللهم إنَّا نسألك الإخلاص في القول والعمل، ونعوذ بك أن نشرك بك شيئاً ونحن نعلم، ونستغفرك لما تعلم ولا نعلم، اللهم ارزقنا التحقيق لتوحيدك

وطاعتك، واجعلنا من أهل التقوى والخشية بمنِّك وكرمك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن الراجحي

أنواع التوحيد الثلاثة

ووجوب إخلاصها

أنواع التوحيد الثلاثة:

إن مَن أثبَت ربوبية الله ووحدانيته وأسماءه وصفاته وأفعاله على ما يليق بجلاله وعظمته كما وَرَدَ في الكتاب والسُّنَّة، وأَخْلَصَ العبادة في جميع أنواعها لله ولم يخلطها بشرك، وكان في ذلك مقتدياً برسول الله ﷺ، فهو المسلم الذي له الأمن والهداية، وقد أتى بالتوحيد الواجب الذي تَبْرَأ به ذمَّته ويستحق به دخول الجنة والسلامة من النار إن كان مؤدياً لفرائض الله مجتنباً لمحارمه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، ومَن أتَى بالتوحيد وأتى معه بكبائر ارتكبها كتركه لبعض المفروضات أو ارتكابه لبعض المحرمات ومات من غير توبة فإنه لم يأتِ بالتوحيد الواجب الذي تَبْرأ به ذمَّته ويستحق به دخول الجنة والنجاة من النار، بل هو على خطر عظيم من دخول النار، وهو متعرض لسخط الله وعقوبته.

- ومن أنواع توحيد الله: العلمُ والإقرار بأن الله ربُّ كل شيءٍ ومليكهُ وخالقهُ ومدبرهُ ومُصَرِّفه وأنه

الرازق المحيي المميت النافع الضار، وذلك توحيد الله بأفعاله، وهو المسمَّى بتوحيد الربوبية، وهذا النوع قد أقرَّ به الكفار في عهد النبي ﷺ كما دل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

[المؤمنون: ٨٤-٨٩].

- ومن أنواع التوحيد: الإيمان بما وَصَفَ الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ على الحقيقة من الأسماء والصفات، وعدم التعرُّض لها بشيء من التكييف أو التشبيه أو التمثيل أو التحريف أو التعطيل على حدّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]،

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] ويسمى هذا النوع من التوحيد: توحيد الأسماء والصفات، وكان الكفار يقرون بجنس هذا النوع كما كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، لكن إقرارهم بهذا النوع من التوحيد وحده لم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم جحدوا توحيد العبادة فلم يخلصوه لله، بل أشركوا معه في عبادته ـ التي هي محض حقّه ـ غيرَه، ولهذا قاتلهم رسول الله ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم مع إقرارهم بربوبية الله؛ فمن لم يُقر بوحدانيته ﷻ أو جَحْد شيئاً من أسمائه أو صفاته فقد بدَّل الدين وأشرك برب العالمين وهو في الدنيا ليس في عِداد المؤمنين وفي الآخرة من الخاسرين، وحرَّم الله عليه الجنة وأحبط عمله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المَائدة: ٧٢].

فلابدَّ من الإخلاص لله في التوحيد والعبادة والطاعة، واتِّباع السُّنَّة؛ حتى يكون العمل صالحاً مقبولاً نافعاً مضاعفاً مباركاً فيه.

فصل:
في إخلاص التوحيد

كما تكثر الأعمال بالإخلاص وتتضاعفُ ويباركُ فيها، فإنه مع ذلك مدعاةٌ للتقدير والتعاون والحبّ والولاء، فما تحلَّت به نفسٌ أو أُمَّةٌ إلا وأحبها الله وأحبها الناس، واستولت بإخلاصها على القلوب وكسبت النفوس، وحلّ التعاونُ فيها محل التخاذل، والنصحُ محل الخيانة، والإجتماعُ محل الفُرقة، والعدالةُ محل الفسق.

وما تحلّت بالإخلاص أمةٌ إلا عزَّ سلطانها، وعظم شأنها وهيب جانبها، ومكّن الله لها في الأرض، وبدّل خوفهم أمناً كما حصل هذا للأمة الإسلامية في أوج إخلاصها حيث تحقق فيهم وعْدُ الله لهم بالتمكين في قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النّور: ٥٥].

وما فقدت الإخلاصَ أمَّةٌ إلا وفقدت كل مقوِّمات حياتها المعنويَّة وانحطَّت إلى الحضيض عياذاً بالله لأُمَّة الإسلام من ذلك.

فبإخلاص التوحيد والطاعة لله؛ يتحقق الإيمان، فيحصل لكم الأمن والهداية التي أخبر الله عن أهلها بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، والحذر الحذر مما يُضعفُ الإيمان والتوحيد من الشرك والبدع والمعاصي، وبتدبّر كتاب الله وسُنَّة نبي الله عليه الصلاة والسلام ومداواة أمراض القلوب وتحكيمها في كل الشؤون؛ يدرك المرء العز في الدنيا والسعادة في الآخرة.

توحيد العبادة

توحيد العبادة

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وإن أنفع وأفضل ما وَعَظ به الواعظون ودعا إليه الهادون توحيدُ الله تعالى، إذ لا حياة للقلوب ولا لذَّة ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعتقد اعتقاداً لا يساوره شك مصدقه لذلك بالأفعال بأن الله تعالى هو إلهُها وفاطرها وحده لا شريك له، وأن يكون هو معبودَها وغاية مطلوبها وأحب إليها من كل شيء حتى من نفوسها، وما أوامره تعالى وشرائعه التي خَلَقَنا لها وأَمَرنا بها إلا متعة للقلوب ولذَّة للأرواح ونعيماً للنفوس: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٦].

إن أعظم عبادة لله، وأجلّها وأفضل وأعظم واجب، وأوّلَ طريق يسلكه الإنسان إلى الله، وأول منازل الطريق، وأوَّل مقام يقوم فيه السالك إلى الله وأوَّل دعوة الرسل، وأوَّل ما يُدخل في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا هو التوحيد، توحيد الله تعالى بإفراده بالعبادة، وذلك بأن تعتقد أن الله إلهٌ واحد، لا

إله إلا هو فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه الخالق المدبِّر، وأنه المعبود بحق، وأنه لا يستحق شيئاً من العبادة غيره، وأن مَنْ صرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره فهو مشرك كافر، والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والجامع لعبادة الله وحده طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهذا التوحيد هو توحيد الألوهية، وهو حق الله على عباده، وهو الذي وقع فيه النزاع بين الرسل وأُممهم في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد في جميع أنواع العبادة، كأركان الإسلام الخمسة، الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج، والدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة والإستعانة والإستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد أشرك، وذلك كدعاء الأموات والإستغاثة بهم في الشدائد والمهمات، والإستنجاد بهم في تفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وهذا من أعظم المحدثات وأكبر المنكرات؛ لأنه الشرك الذي لا يغفره الله؛ لأنه من الدعاء الذي هو العبادة التي هي حق الله تعالى كما قال النبي ﷺ:

«الدعاء هو العبادة»(١) فمن دعا أحداً غير الله فقد عبده، فإن الله سمّى الدعاء عبادة في غير موضع من كتابه قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، وقد أفصح القرآن في مواضع بالنهي عن دعاء غير الله كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وصرّح سبحانه بكفر مَنْ دعا غيره، فقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود: كتاب الصلاة (١٤٧٩)، والترمذي: أبواب تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وابن ماجه: كتاب الدعاء (٣٨٢٨)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فدلّت هذه الآيات على أن الله سبحانه هو الإله الحق المنفرد بالعبادة كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرّعد: ١٤]، فالعبادة محض حق الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البَقَرَة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٥] أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النِّسَاء: ٣٦]، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها لا معبود حق إلا الله، فدلّت هذه الآيات أوضح دلالة على أن العبادة بجميع أنواعها حق الله تعالى مختصَّة به، لا يصلح منها شيء لغيره حتى ولو كان ملكاً مُقرَّباً أو نبيّاً مرسلاً، فضلاً عن غيرهما، ولمَّا كانت العبادةُ مختصَّةً به ـ تعالى ـ أَمَرَنا بإخلاصها له كما في قوله

تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيّنة: ٥]، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزُّمَر: ١٤]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التّوبة: ٣١]، وهذه هي الحنيفية ملَّة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أَمَرَ الله جميع الناس وخلقهم لها، وهي دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النّحل: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى آمراً باتباع ملّة إبراهيم: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٥]، وقال ﷻ آمراً نبيه باتباعها: ﴿ثُمَّ

أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال تعالى مثنياً على من اتبعها: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ﴾ [النساء: ١٢٥].

- والعبادة لها أصلان تنبني عليهما وهما: غاية الحب مع غاية الذل والخضوع، وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

فاتق الله عبد الله وحقق توحيدك بإخلاص التوحيد والعبادة لله؛ تكن من المهتدين في الدنيا ومن أهل الأمن في الآخرة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

عظم كلمة التوحيد ومعناها

فصل:
في منزلة كلمة التوحيد

ينبغي للمسلم أن يُعنى بتجديد الإيمان في المساء والصباح بتأمُّل معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، إذ لا فلاح إلا لأهلها، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، أرسل الله الرُّسل لأجلها مبشِّرين ومحذِّرين عن ضدها، فدعوا الناس كلهم إلى العمل بها، فهي رأس الملَّة والدين، وهي حبل الله المتين، خلق الله الجنين من ماء مهين ليعبده بها، وقد بُعِثَ رسول الله ﷺ يجدِّد ما درس من معالم التوحيد، وقال الله له: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩]، فصدَع بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «**أُمِرْتُ أن أُقاتِل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»(١). ودعا سرّاً وجهاراً، ليلاً ونهاراً، حتى انكشف الغِطاء عن وجه كلمة التوحيد، فما قامت السماوات والأرض إلا بالحق، ولا صحَّت السُّنَّة والفرض إلا بالتوحيد، ولا

---

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم: كتاب الإيمان (٢٠)

ينجو أحد يوم العرض على الله إلا بإخلاص التوحيد، ولا جُرِّدتْ سيوف الجهاد إلا للتوحيد، وما أُرسِلَت الرُّسل إلى العباد إلا ليُعَلِّموهم شرع الله وإخلاص الدين له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٢-٣]، فانقسم الناس عند ذلك فريقين وسلكوا طريقين: فريق انقاد للرسل ووحَّد الله، والآخر حاد عن دين الله واتَّبع هواه بغير هدى من الله، فسبحان مَنْ فاوت بين عباده بمقتضى حكمته.

طوبى لمن عرف معنى كلمة التوحيد وارتضاها، وعمل باطناً وظاهراً بمقتضاها، وكان من أهل التوحيد والإخلاص، وويل لمَن أبى واستكبر عن الإنقياد لشرع الله ودينه فكان من أهل الكفر والإشراك، غوت أحلام الجاهلين، وضلَّت أفئدة المعاندين حيث عبدوا مع الله غيره واستكبروا عن عبادة الله بعد ظهور الحق واستبانته.

فصل:
في حقيقة كلمة التوحيد

حقيقة الشهادة بكلمة التوحيد هو إفراد الله بجميع العبادات، وتخصيصه بالقصد والإرادات، ونفيها عما سواه من جميع المعبودات، وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله الذي لا يُبقي في القلب شيئاً لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لشيء من أمر الله، وهذا هو حقيقة التوحيد، وأما مَن قال كلمة التوحيد بلسانه ونقضها بفعاله فلا ينفعه قول لا إله إلا الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ [الزخرف: ٨٦] فمَن صرف لغير الله شيئاً من العبادات، وأشرك به أحداً من مخلوقاته، فهو كافر ولو نطق بـ(لا إله إلا الله) ألف مرة.

قيل للحسن: إن ناساً يقولون: مَن قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال: مَن قالها وأدَّى حقَّها وفَرْضَها أدخلته الجنّة.

وقال وهب بن منبِّه لمن قال له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك، وإلا لم يُفتح لك[(١)]؛ لأنك في الحقيقة لم تقل لا إله إلا الله.

لا تظن عبد الله أن أمور الشرك بعيدة، فإن هناك أموراً كثيرة تنافي التوحيد أو تقدح فيه، فإن من معاني (لا إله إلا الله) أيها المسلم أن توحِّد الله بالحبّ والخوف والرجاء والعبادة، وأن تخصّه بالذل والخضوع والتعظيم والقصد، وأن تفرده بالتوكل فتجعل عليه اعتمادك، فسارعوا عباد الله إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أُعِدَّت للمتقين، الذين قاموا بواجبات التوحيد، ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر فتكونوا من الهالكين، وتمسَّكوا بالإسلام باطناً وظاهراً، فما خابَ من اعتصم بحبل الله المتين، فمَن نفى ما نفته كلمة التوحيد وأثبت ما أثبتته، ووالى عليها وعادى، رفعته إلى أعلى عليِّين منازل أهل (لا إله إلا الله)، وهم الذين قالوا صواباً، الذين استثناهم الله في

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب: ماجاء في الجنائز ومن كان أخر كلامه: لا إله إلا الله، ورواية البخاري له معلقة.

قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبإ: ٣٨].

اعلم عبد الله أن الله ما خلقك إلا لعبادته، ولا أمرك إلا بتوحيده وطاعته، والتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين جميع الرُّسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لمَّا وقعوا في الشرك والآثام، وغلوا في الصالحين، فعبدوهم دون ذي الجلال والإكرام، وآخر الرسل محمد ﷺ النبيّ الأمين، وهو الذي كسّر صور هؤلاء الصالحين، وأزهق الله به الباطل، وجاء بالحق المبين، أرسله الله إلى أُناس يتعبَّدون ويحجُّون ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً لا يفترون، لكنهم جعلوا بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين عالِم السر والجهر، يقولون: نريد منهم التقرُّب إلى الله ونطلب منهم أن يشفعوا لنا عنده ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]، فبعث الله محمداً عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم، يُجدِّد لهم ما اندرس من دين أبيهم إبراهيم، ويُخبرهم أن التقرُّب والإعتقاد محض

حق الله تعالى على جميع العباد، لا يصلح منه شيء لنبي ولا ملك ولا أحد من الآحاد، كائناً ما كان.

فاتق الله عبد الله، وحقِّق إيمانك وتوحيدك وإخلاصك لله بالعمل قبل أن ينظر المرء ما قدمت يداه، ولا ينفع أحد أحداً إلا بإذن الله ورضاه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ١٨-٢٣].

فصل:
في الوصية بتعاهد التوحيد

ينبغي للمسلم أن يتعاهد إيمانه وتوحيده لله بالمحافظة عليه من الوقوع فيما يذهبه أو ينقص كماله من الشرك الأكبر أو الأصغر أو الوقوع في البدع أو الوقوع في كبائر الذنوب كالعدوان على الناس في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم، وكعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام، وكالتهاون بفرائض الله.

وينبغي أن يهتم بدينه ويعتني به غاية الإعتناء، وأن يكون متقٍ ومحسن في عبادة ربه أكثر من اعتنائه وإتقانه لأمور دنياه، فإن الناس في هذا الزمن انساقوا وراء المادة يلهثون وراءها يتعسَّفون في جمع المال ولو كان على حساب دينهم أو خُلُقِهم أو أذية المؤمنين، فاتقوا الله واعملوا لآخرتكم كما تعملون لدنياكم، بل أكثر، فإن الآخرة هي دار القرار والدنيا ممرّ ومعبر وأنتم مفارقون لها ولابد، وتذكروا وقوفكم بين يدي الله وسؤالكم: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا

يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [القَصَص: ٦٢-٦٦].

اعلم عبد الله أنك سترى أعمالك في صحائف الأعمال التي يعطاها الخلائق بالأيمان أو بالشمائل يقرأه كل إنسان ولو كان أُمّيًّا ـ لا يقرأ في الدنيا ـ يُقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ [الإسرَاء: ١٤].

الإخلاص
وأثره

فصل:
في منزلة الإخلاص

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا سدى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: ٣٦]، بل أرسل إلينا رسولاً مَنْ أطاعه دخل الجنة، ومَنْ عصاه دخل النار، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾ [المزّمل: ١٥-١٦].

والعبادة التي خُلقنا لها قد جعل الله لها شرطان أساسيان لا تتم ولا تنفع إلا بهما، وهما: الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيّنة: ٥]، فهذه الآية تُبيِّن أن الإخلاص هو القاعدة التي تُبنى عليها العبادة وتتم بها وتجعلها موجّهة إلى الله وحريَّة بقبوله ومثوبته، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ

فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحَشر: ٧]، فهذه الآية تبيّن أن المتابعة لرسول الله ﷺ شرط في صحة العبادة.

مما سبق يتبيَّن أن العبادة أيًّا كانت فعليَّة أو قولية لا تسمى عبادة ولا تكون نافعة إلا إذا صدرت من مؤمن وتوفّر فيها الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله - عليه الصلاة والسلام -، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ﴾ [النِّساء: ١٢٥]، وقال: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ [لقمان: ٢٢].

والإخلاص الذي يتوقف عليه قبول العمل هو إفراد الحق تعالى بالطاعات وقصده بها دون غيره، وتجريدها وتصفيتها من قصد المحمدة أو الثناء أو الجاه أو المنصب أو الدنيا أو معنى آخر سوى التقرب بها إلى الله وحده.

الإخلاص أن يكون باطن العمل كظاهره أو أحسن، وسرّه كعلنه أو أفضل، والإخلاص مصدره نيَّة القلب، والنية هي معيار الأعمال ومقياسُها العادل الذي يتميز به طيِّبُها من خبيثها وصحيحُها من فاسدها، ومقبولها من مردودها، ونافعها من ضارها، والأعمال

الصالحة تتفاوت ويتفاوت أجرها بحسب النيّات وما قام بالقلب منها، والطاعات قد تكون في ظاهرها وهيئتها سواء، ولكنها في باطنها متفاوتةً فهي خير للمخلصين وسعادة، وشرّ للمرائين وشقاوة، فالناس يقفون جميعاً للصلاة في مصلى واحد وخلف إمام واحد يركعون ويسجدون سواء، ومنهم المقبول لإخلاصه وتقواه، ومنهم المردود لريائه وخُبث نواياه، ويقفون في صف الجهاد تحت قيادة واحدة ويُقتلون، ومنهم بعد القتل مَنْ تروح أرواحهم وتغدو في الجنة تسرح حيث شاءت، ومنهم مَنْ يسحب على وجهه ويُلقى في النار، فالأول جاهد إخلاصاً لله وفي سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، والثاني جاهد مفاخرةً ورياءً ومباهاة، روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ**

فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[(١)].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة (١٩٠٥)

أثر الإخلاص

الإخلاص هو سرّ نجاح العبد وفلاحِه في دنياه وآخرته، وهو دعامة الأعمال التي تقوم عليها سواء كانت طاعةً روحيَّة أو معاملة ماديَّة، فهو للأعمال كالروح للأجسام، والأعمال معه ذاتُ كثرة وبركة وبفُقدانها له ذاتُ قلّة وفشل، واسمعوا قول الله في المثلين اللذين ضربهما لمَن ينفق رياءَ الناس ولمَن ينفق ابتغاء مرضاة الله حينما يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤-٢٦٥].

إن الأعمال مع الإخلاص تنمو وتزكو ويبارَك فيها وتقبل، وبدونه تقل بركتها وتضمحل وتفشل وتُرَد على

صاحبها، فأخلصوا أعمالكم لله واطلبوا بها رضاه، واقصدوا بها وجهه، وجاهدوا أنفسكم في إخلاصها لله، واحذروا المقاصد الرديئة والنوايا السيئة من قصد مال أو دنيا أو رياسة أو منصب أو جاه أو ثناء أو مدح، أو الوصول إلى أي غرض آخر، فقد أمركم رب العزة والجلال بالإخلاص فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: ١٤]، ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وأهل الإخلاص هم أسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة، قال أبو هريرة: مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»[(١)]، وفي رواية: «**مخلصاً من قلبه**»[(٢)]، فالإخلاص عليه مدار قبول الأعمال، فتدبروا هذه الآيات وأمثالها لتعرفوا عِظم شأن الإخلاص.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم (٩٩)
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(٢٠٤٥)

توجيه

يُشترط في المسلم أن يكون موحِّداً لله، ولا يكون موحّداً لله حتى يكون مخلصاً في العبادة، وعلى وَفْقِ هدي رسول الله ﷺ، وإن كثيراً من الوافدين إلى هذه البلاد من العرب وغير العرب من الحجاج والزُّوّار ومن غيرهم مَن يقع في الشرك المنافي للإخلاص والتوحيد وهو يظن أنه مُوحِّد مسلم مع أنه مشرك غير موحِّد، وذلك بأن يكون قد اعتاد في بلده دعاء غير الله من الأموات من الصالحين وغيرهم وطلب المدد منهم وسؤالهم قضاء الحاجات والعودة بالسلامة من الأسفار والذبح لهم والنذر والإستعانة بهم، وهذا هو الشرك بعينه، فاتقوا الله عباد الله، وأخصلوا التوحيد والإيمان، واحذروا ما ينافيه ويبطله أو ينافي كماله الواجب من الشرك والبدع والمعاصي، وتدبروا كتاب ربكم وسُنَّة نبيِّكم وحكِّموهما في كل شأن من شؤونكم، فإن في ذلك السعادة والنجاح والنجاة والنور والهداية والشفاء من كل الأدواء في الدنيا والآخرة.

وإنا نحمد الله أن حفظ لنا هذا الدين برجاله المخلصين ـ العلماء العاملين ـ الذين هم أئمة يُقتدى بهم، وأعلام يُهتدى بهم في العلم والعمل والإخلاص، وإنَّ في وجود أمثال هؤلاء في الأُمة حفظاً لدينها وصوناً لعزَّتها وكرامتها، فهم السياجُ المتين الذي يحول بين الدين وأعدائه، والنورُ الذي تستنير به الأمة عند اشتباه الحق وخفائه، واشكروا الله أن يسَّر لكم ديناً سليماً وصراطاً مستقيماً، وجعلكم من أمة محمد ﷺ خير الأمم وأبرّها وأزكاها، وحفظ لكم دينكم حتى وصل إليكم ـ ولله الحمد ـ نقيًّاً من البدع والإشراك وبريئاً من طريق الغيّ والهلاك بما أقام لكم من أئمة الدين والجهابذة المرشدين المخلصين.

الخاتمة

أخلص عبدَ الله أعمالك لله وطهِّرها من إرادة غير الله، ولا يغيب عنك أن الله تعالى مطَّلِع على السرائر والضمائر: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩]، فأخلص له النية فيما أوجب عليك من طاعة ما نَدبك إليه من برٍّ؛ تفوز برضاه تعالى ويصرف عنك السوء والفحشاء وتكون من عباده المخلصين. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	٥
أنواع التوحيد الثلاثة ووجوب إخلاصها	
أنواع التوحيد الثلاثة :	٩
فصل : في إخلاص التوحيد :	١٣
توحيد العبادة	
توحيد العبادة :	١٧
عظم كلمة التوحيد ومعناها	
فصل : في منزلة كلمة التوحيد :	٢٥
فصل : في حقيقة كلمة التوحيد :	٢٧
فصل في الوصية بتعاهد التوحيد :	٣١
الإخلاص وأثره	
فصل : في منزلة الإخلاص :	٣٥
أثر الإخلاص :	٣٩
توجيه :	٤١
الخاتمة :	٤٣
فهرس الموضوعات :	٤٥